

الدولة يتلاعب بالواقع ... والتدرجية بالنسبة الى رجل الدولة هي جوهر الاستقرار... والنبي، في المقابل ، اقل اهتماما بالتلاعب مما هو بخلق الواقع . فما هو ممكن يهمل ما هو حق ... واقترابه سرمدى وغير معتد على الظروف ... كان الاسلوب النيوبي في صعود خلال الجيشتات المعظيمة للصراعات الدينية وفترة الثورة الفرنسية ، وفي الثورات المعاصرة في الاجزاء الرئيسية من العالم » . ( وهنري كيسنجر ، السياسة الخارجية الامريكية . نيويورك ١٩٦٩ ، ص ٢٧ - ٤٨ ، التشديد مضاف ) .

ويتضح في الفقرات اللاحقة ان الدكتور كيسنجر ينظر الى « اعمق مشكلات النظام الدولي المعاصر » في اطار العالم الاول مقابل العالم الثالث . وسيجد قراء كيسنجر غير الغربيين تمييزه بين الغرب التجريبي العلمي والمشرق ما قبيل النيوتوني فظا بنوع خاص ، وآراؤه الشيبينغلارية حول خطر العالم غير الغربي عنصرية تماما . لكن العامل المناسب هنا هو واقع ادراك كيسنجر، وليس سطحية تفكيره . وهنا بعض المتقطعات : « في ما يتعلق بالفرق في المنظور الفلسفي ( بين السلطات العالمية « الشرعية » و « الثورية » فانه قد يعكس انحراف الخطين الفكريين الذين منذ عصر النهضة ميزا الغرب عن ذلك الجزء من العالم الذي يدعى متخلفا ( مع احتلال روسيا مركزا متوسطا ) . فالغرب ملتزم التزاما عميقا بالفكرة القائلة ان العالم الحقيقي هو خسارجي بالنسبة الى المراقب ، وان المعرفة تتألف من تسجيل وتصنيف المعلومات - والامنض بمزيد من الدقة . اما الحضارات التي بقيت خارج التأثير المبكر للتفكير النيوتوني فقد احتفظت بالنظرة السابقة لنيوتون جوهريا والقائلة ان العالم الحقيقي هو داخلي بالنسبة الى المراقب بصورة تامة تقريبا . ومع ان هذا الموقف كان عائنا طيلة قرون - لانه منع انباء التكنولوجيا وسلح المستهلكين التي تمتع بها الغرب - فهو يعرض مرونة كبيرة في ما يتعلق بالجيشتان الثوري المعاصر . انه يمكن المجتمعات التي لا تشاركنا اسلوبنا الحضاري من تغيير الواقع عن طريق التأثير في منظور المراقب - وهي عملية نحن الى حد كبير

الاساليب الثورية ، رجل الدولة مقابل النبي ، العقائدي مقابل العملي التجريبي ، الرؤيوي مقابل الواقعي - وكثيرا ما تشير الى تغيرات في ادراكه لموقع الخطر الثوري . ففي كتاباته الاولى ، على سبيل المثال ، كان بوجه الاجمال يربط « السلطة الثورية » بالدولتين الاشتراكييتين الرئيسيتين ( الاتحاد السوفياتي والصين ) ، ويعتبر الحركات الثورية مجرد امتدادات للدول الثورية .

وكونه حدد موقع السلطة الثورية على هذا النحو في الخمسينات ، دفع كاتب سيرة حياته الى الاستنتاج ان وحدها « الدول كانت كيانات حقيقية بالنسبة الى كيسنجر » وان « اهتمامه كان ينصب في الدرجة الاولى على الذين يمارسون السلطة الفعلية » . ( ستيفن غروبارد ، مستشهد به ، ص ١ ) . لكن غروبارد يتجاهل ان كيسنجر يقول في كتاباته اللاحقة ان كلا من الاتحاد السوفياتي والصين هما الان نظامان مختطفان من حيث ان كلاهما اكتسب مصلحة معينة في المحافظة على النظام ، وكلاهما عرضة للحوافز في هذا المجال ، وكلاهما يمكن الضغط عليه للحد من دعمه لحركات التحرير . كذلك ساعدت امثلة كوبا والغيانم ولاوس في جعل واشنطن تتخلص من الاعتقاد بان الحركات الثورية هي مجرد ملحقات لموسكو وبيكين . ومن هنا فان الدكتور كيسنجر ، في آخر الصيغ التي وضعها للاستقطاب الجوهري في السياسة الدولية ، يعين التعبير عن الإرادة الثورية ، اي الخطر الرئيسي على « الاستقرار » و « التوازن » الدوليين ، في حركات التحرير وبعض الحركات الراديكالية للعالم الثالث .

ويكتب الدكتور كيسنجر في آخر كتاب له : « ان اعظم مشكلات النظام الدولي المعاصر قد تكون ان اكثر المناقشات التي تؤلف عناوين الصحف اليوم هي السطح الخارجي للانقسامات الاساسية الموصوفة في هذه الدراسة . وليس الانقسام حول تنظيمات سياسية معينة - الا كأعراض - بل بين اسلوبي سياسة - ومنظورين فلسفيين » . وينتقل ليشرح ، وليقارن : « يمكن تحديد الاسلوبين بوصفهما الاقتسراب السياسي المختلف عن الاقتراب الثوري من النظام ، او ان شئنا تحويلهما الى مستوى الشخصيات ، بوصفهما الفرق بين رجل الدولة والنبي . فرجل